الأحساس بالمسؤولية وأثره في الحفاظ على الأمن والإستقرار في ضوء الحديث النبوي" كلكم راع..." دراسة تحليلية موضوعية.

أ.م.د. كامران أورحمن مجيد المدرسة پەيام جافر على

جامعة السليمانية/ كلية العلوم الاسلامية / قسم أصول الدين

doi:10.23918/ilic2019.11

الملخص

هذا البحث يتناول حديث ابن عمر عن الرسول(ﷺ):(كلكم راع ....) والحديث من أحاديث الإمامين البخاري ومسلم في صحيحهما، وهو أصل في تحمل المسؤولية التي سوف يحاسب عليها الإنسان في الآخرة. ويحتوي على أنواع المسؤولية، وكل فرد في المجتمع له مسؤوليته الخاصة، لابد من القيام بأدائها وإهمالها يؤدي إلى الإضرار بالأمن من زاوية ما، وقد تمت دراسة الحديث دراسة تحليلية موضوعية، وتم تقسيم الموضوع إلى مباحث: ثم خُتم البحث بسرد أهم النتائج.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين:

الإحساس بالمسؤولية له صلة أصيلة بالتشريع الإسلامي؛ لأن التديُّن عبارة عن الإحساس تجاه الخالق والخلق، والإشتغال بهذه المسؤوليات بحاجة إلى مئات الصفحات.

ومن نعم هذا التشريع الإهتمام بالأمن وحفظه، والحث على الإحساس بالمسئولية، فالإسلام جاء من السلم والسلام، والسلم طريق للأمن، والإيمان من الأمن والأمان، وينبغي أن يأمن الخَلق من المؤمن، كما ورد في النصوص التي سنذكرها، فالمعاني السامية كلها تنبع من أصل الإسلام تدخل في الإهتمام بالأمن والأمان، والتركيز على الأمن دخل في أعلى المراتب للشريعة الإسلامية؛ لأن الشريعة إنما جاءت لحفظ مصالح الناس، وتحقيق مآربهم المشروعة، ولا طريق للحفاظ على المقاصد الضرورية إلا في ظل الأمن والإستقرار.

ولما رأيت أن موضوع الإحساس بالمسئولية والأمن والسلم وما يتعلق بهذه الأمور ذات صلة بأغلب الأحكام التشريعية، ولا يمكن الخوض في جميع الأبواب التي لها علاقة بالموضوع، اخترت ما هو من صميم الأمن– حسب معلوماتي المتواضعة– وهو حديث الرسول(ﷺ):(كلكم راع...).

الدراسات السابقة

توجد دراسات كثيرة في المسئولية بأنواعها، والأمن بألوانه لكنني لم أجد دراسة مستقلة حول الحديث المذكور مع تصفحي لرسائل وبحوث علمية تناولت دراسة الأحاديث دراسة موضوعية وتحليلية.

منهج البحث

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الإستقرائي، والذي يقوم الباحث فيه بجمع المعلومات حول مسألة بذاتها ثم يأتي تفسيرها وتحليلها والنظر إلى الجوانب المختلفة.

خطة البحث: يتكون البحث من تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة

ففي التمهيد، أورد تعريف مصطلحات العنوان.

المبحث الأول: متن الحديث وتخريجه مع سبب وروده.

المبحث الثاني: معنى الحديث وتحليل ألفاظه ودلالة فقراته. ويتكون من مطلبين: الأول: المعنى الإجمالي للحديث الثاني: تحليل ألفاظه ودلالة فقراته.

المبحث الثالث: دراسة موضوعية للحديث ويتكون من مطلبين: الأول: وقفات مع موضوعات الحديث. الثاني: أثر الحديث في الإحساس بالمسؤولية من محاور مختلفة .

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التعريف بالمصطلحات الواردة في عنوان البحث:

وردت في عنوان البحث مفردات وتكرر ورودها في محتوى البحث مرارا، وتعتبر هذه المفردات عمدة في البحث لذلك فضلت أتعرض لها في هذه البداية بتعريفها، ومن هذه المصطلحات:

أولا: الإحساس: فهو لفظ عام يُستعملُ في الرؤية والمشاهدة الظّاهرة أو الباطنة[١]، ومن معانيه معرفة الشيء والعلم به، قال الزجاج: معنى أحس: علم ووجد[٢]، فيقال: هل أحسست صاحبك؟ أي هل رأيته ؟، وهل أحسست الخبر؟، أي: هل عرفته وعلمته[٣].

والمقصود بالإحساس في هذا البحث هو الإدراك والشعور بما ينبغي التعامل معه على ضوء النصوص والأحكام الشرعية. قال المناوي:" والشعور: الإحساس، ومشاعر الإنسان حواسه"[٤].

ثانيا: المسؤولية: فهي اسم مفعول[٥], فزيد عليه ياء مشددة، وتاء مربوطة، هذه الصيغة سميت مصدراً صناعياً[٦]، وقد ورد أصل مادة(سأل) في اللغة بعدة معان منها: الطلب، والدعاء، والحجة والبرهان، والمؤاخذة[٧].

لم يتعرض علماء المتقدمين لتعريف هذا المصطلح (المسئولية) لوضوح معناه عندهم، وأما العلماء المعاصرون فقد ذكروا تعريفات للمسئولية ومن أبرزها :

١) المسؤولية – بوجه عام – حال أو صفة من يسأل عن أمر تقع عليه تبعته[٨].

٢) حالة للمرء يكون فيها صالحاً للمؤاخذة على أماله ملزماً بتبعاتها المختلفة[٩]. هذان التعريفان لايختلفان إلا في بعض الألفاظ.

٣) تحمل الشخص نتيجة إلتزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحية الإيمانية والسلبية أمام الله في الدرجة الأولى, وأمام المجتمع في الدرجة الثابتة[١٠].

٤) المسئولية هي: الإستعداد الفطري الذي جُبل عليه الإنسان ليكون صالحا للقيام برعاية ما كُلّف به من أمور متعلقة به، فإن وفي ما عليه من الرعاية حصل له الثواب، وإلا فهو مقصر وآثم[١١].

---

[١]– معجم مقاليد العلوم، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، مكتبة الآداب– القاهرة– مصر–١٤٢٤هـ–٢٠٠٤م، ط١،(ص١٩٧)، كتاب الكليات، لأبى البقاء الكفومى، مؤسسة الرسالة– بيروت–١٤١٩هـ–١٩٩٨م، تحقيق: عدنان درويش– محمد المصري(٦٢/١)، الفروق اللغوية، العسكري، تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي بقم(٢٣/١).

[٢]– وكلامه في تفسير قوله تعالى:[فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ] آل عمران من الآية (٥٢).

[٣]– لسان العرب، لابن منظور، دار صادر– بيروت، ط١،(٩٦/١٨) المصباح المنير، الفيومي، المكتبة العلمية– بيروت (١٣٦/١).

[٤]– فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، تحقيق: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م (٣٠٢/٥).

[٥]– الصحاح تاج اللغة، إسماعيل الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور، دار الملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م(٣/٧)، ولسان العرب(٣١٨/١١)، ومقاييس اللغة، ابن فارِس، تحقيق: عبد السَّلام هَارُون، اتحاد الكتاب العرب، ط: ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م(٩٥/٣)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية– إبراهيم أنيس(٤١١/١).

[٦]– فالمصدر الصناعي كما قال النحاة : ما زيد ياء النسب وتاء النسب وتاء النقل عليه. النحو الوافي، عباس حسن(١٨٧/٣).

[٧] – لسان العرب دار صادر.(٣١٨/١١).

[٨]– ورد هذا التعريف في المعجم الوسيط، وقال بعده: وتطلق أي المسئولية(أخلاقيا) على التزام الشخص بما يصدر عنه قولا أو عملا، و(قانونا) على الالتزام بإصلاح الخطأ الواقع على الغير طبقا لقانون(٤١١/١) .

[٩]– العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع، د. محمد بيصار، ط٤، سنة ١٩٧٣، الأنجلو المصرية(ص ٢٢٥و٢٢٦).

[١٠]– الاتجاه الأخلاقي في الإسلام. مقداد يالجن (ص ٢٣٧).

[١١]– المسئولية والجزاء في القرآن د. محمد إبراهيم الشافعي، رسالة دكتوراه دار النهضة المصرية، ط١،(ص٣٨).

٥) كون الناس جميعاً مأمورين من قبل الله سبحانه بأن يرتضوا مجموعة القيم والمبادئ والتعالم التي بلغها لهم خاتم النبيين منهاجاً لحياتهم, فيرضاها الصفوة من الخلق مختارين ويأباها غيرهم ويكون على أساسها الجزاء عدلاً وفضلاً [١].

وهذه التعريفات وكما تراها متقاربة والتعريف الأول والثاني مناسب لمطلق المسئولية أما البقية فيشبه أن تكون تعريفا للمسئولية الدينية أو الأخلاقية.

ولعل التعريف الأول هو المختار لمطلق المسئولية، والثالث للمسئولية الدينية أو الأخلاقية.

وللمسئولية صلة وارتباط بمصطلحات أخرى كالأمانة إذا أنها مقدمة للمسئولية؛ لأن وجودها تقتضي من يقوم بحفظها وصونها، قال تعالى:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ..﴾ الأحزاب من الآية(٧٢).

قال ابن كثير:" وهو إن قام الإنسان بذلك أثيب وان تركها عوقب"[٢]، والعلاقة بين الأمانة والمسئولية واضحة جلية، فمن قال في الأمانة أنها: قبول التكليف بشرط تحمل الجزاء، معناه قبول المسئولية وتبعاتها[٣] .

قسمت المسئولية في عصرنا إلى أنواع منها:

وإن كان أغلبها باعتقادي تعود إلى المسئولية الدينية، وتكون جزءا وتابعا لها، ومن هذه الأنواع للمسئولية في العلوم والفنون : المسئولية الاجتماعية[٤] والأخلاقية[٥] والدينية[٦] والجنائية[٧] وغيرها،

رابعا: الأمن: أصله: طمأنينة النفس وعدم خوفها، يقال: أمن البلد: إذا اطمأن به أهله[٨]. والمراد بالأمن اطمئنان الفرد والأسرة والمجتمع على أن يحيوا حياة طيبة في الدنيا، لا يخافون على أنفسهم وأموالهم وعقولهم ونسلهم، من الاعتداء عليها.

خامسا: الرعاية: أصل الكلمة من رعى يرعى، واسم الفاعل راع، على وزن فاع[٩]، قال الجوهري: الرعى بالفتح المصدر[١٠].

وقال ابن فارس: أصلان أحدهما: المراقَبة والحِفظ، والآخَر: الرجوع[١١]، فالراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما اؤتمن على حفظه, فهو مطلوب بالعدل فيه.

والرعاية عبارة عن: حفظ الشيء، ومن وكل بحفظ شئ فهو راع .

---

[١]– المسئولية والجزاء في السنة المطهرة، حسن صالح العناني، نقلا عن الجانب الاخلاقى فى التشريع الجنائى الاسلامى عبدالقادر عودة(٣٩١/١).

[٢]– تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار المعرفة بيروت – لبنان،١٩٩٢م (٣٤٢/٣)، مع التصرف.

[٣]– القضاء والقدر. دكتور فاروق الدسوقي، دار الدعوة الإسكندرية (١٠٥/١).

[٤]– وعرفت بأنها: التزام المرء بقوانين المجتمع الذي يعيش فيه وبتقاليده ونظمه, سواء كانت وضعية أو أدبية. راجع: العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع الدكتور محمد بيصار(ص٢٢٥ و ٢٢٦).

[٥]– وعرفت بأنها: حالة تمنح الإنسان من القدرة أمام نفسه ما يعينه على تحمل تبعات أعمالها وآثارها. العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع، الدكتور بيصار(ص٢٢٥ و ٢٢٦).

[٦]– المسئولية الدينية: التزام المرء بأوامر الدين ونواهيه. وقبول لما يترتب على مخالفتها, بحيث يكون ملتزماً بما ينتج عن هذه المخالفة من جزاءات محدودة وعقوبات مقررة. العقيدة والأخلاق، البيصار(ص٢٢٥ و ٢٢٦).

[٧]– وعرفت المسئولية الجنائية بأنها:"هي أن يتحمل الفرد– الإنسان– نتائج الأفعال المحرمة التي يأتيها مختار وهو مدرك لمعانيها ونتائجها. راجع: التشريع الجنائي الإسلامي، عبد القادر عوده، مؤسسة الرسالة(٣٩٢/١).

[٨]– مادة: أمن في كتب المعاجم واللغة، لسان العرب، والمصباح المنير .

[٩]– عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني دار الفكر– ١٣٩٩هـ. (١٣٨/٣٨).

[١٠]– الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢٦٦/٨).

[١١]– مقاييس اللغة(٣٣٦/٢).

المبحث الأول

متن الحديث وتخريجه مع سبب وروده

المطلب الأول

متن الحديث وتخريجه

عن عبد الله بن عمر(رضي الله عنهما) عن النبي(ﷺ) قال:(ألا كُلّكمْ راعٍ، وكلّكمْ مسْئولٌ عن رعيَّته، فالأمير الّذي على النّاس راعٍ، وهو مسْئُول عن رعيَتِهِ، والرّجلُ راع على أهل بيْتِهِ، وهو مسْئول عنهم، والمرأةُ راعيَة على بيت بعلِها وولده، وهي مسْئولة عنهم، والعبدُ راعٍ على مال سيِّده وهو مسْئولٌ عنْه، ألا فكلّكم راعٍ، وكلّكمْ مسْئول عن رعيَته).

الفرع الثاني

تخريج الحديث

أخرج الحديث الأئمة: أحمد بن حنبل[١]، والبخاري[٢]، ومسلم[٣]، وأبوداود[٤]، والترمذي[٥]، وأخرجه غيرهم[٦]، عن ابن عمر وعائشة وأنس وأبي موسى الأشعري(رضي الله عنهم).

المطلب الثاني

سبب ورود الحديث

المراد بسبب الورود، هو الداعي والدافع والواقعة التي اقتضت ورود النص: وأسباب ورود الحديث مثل أسباب النزول لآيات القرآن الكريم، وكل ما قيل في أهمية أسباب النزول ينطبق على أسباب الورود، وذلك كقول العلماء في دور أسباب النزول:"لا يمكن معرفة الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"[٧]. فأسباب النزول والورود يساعدان المفسر والعالم المشتغل بالسنة النبوية فهم النص أكثر، لكن كما هناك آيات ليس لها أسباب النزول فكذلك الحال في السنة فهناك أحاديث ليس لها أسباب الورود أو لم يصلنا شيء عن سب وروده، وهذا الحديث الذي نحن نتحدث عنه تتبعت الرواة وشراح الحديث عند ذكرهم بغية الحصول على سبب دفع النَّبيّ للتحدّث به، فوجدت قصصا ذكرها بعض الرواة، وهي ليست سبب الورود؛ لأن سبب الورود إنما يكون من قبل الرسول(ﷺ) وليس غيره، وفيما يخص هذا المقصد أي سبب الورد وجدت ما رواه أبو لبابة بن عبد المنذر أن رسول الله(ﷺ) نهى عن قتل الحيات التي في البيوت، ثم قال:(كلكم راع ...[٨]، وهذ أقرب شيء توصلت إليه فيما يتعلق بسبب النزول، وأنه على كل صاحب بيت أن يبلغ أهله ليجتنبوا عن قتل ماوجدوه في البيوت .

---

[١]– أخرجه أحمد، عن ابن عمر(٥/٢، رقم ٤٤٩٥) قال: حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أخبرني سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر أنه سمع رسول الله (ﷺ).

[٢]– البخاري، باب (قوا أنفسكم ..) التحريم(٦)، رقم(٤٨٩٢)،(١٩٨٨/٥) وأخرجه أيضا في أبواب أخرى.

[٣]– مسلم باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية ....، رقم(١٨٢٩)، (١٤٥٩/٣).

[٤]– أبو داود، باب ما يلزم الإمام من حق الرعية (١٣٠/٣، رقم ٢٩٢٨)

[٥]– الترمذي في سننه، باب ما جاء في الإمام، (١٧٠٥)، (٢٠٨/٤) وقال: حسن صحيح .

[٦]– كأبي يعلى الموصليفي مسنده(٥٨٣١)،(١٦٦/١١)، ومصنف عبد الرزاق، باب الإمام راع.. رقم(٣٩٦٨) ،(٣١٩/١١). وابن حِبّان في الصحيح، باب الخلافة، رقم(٤٤٨٩) (٣٢٤/١٠). وعبد بن حميد مسند رقم(٧٤٥)، (٢٤٢/١). والبيهقي في السنن الكبرى باب ما جاء.. في أداء الأمانات، رقم(١٢٤٦٦)،(٢٨٧/٦). كلهم عن ابن عمر(رضي الله عنهما)، وأورده الطبراني في الأوسط عن عائشة. رقم(١٥٣٣)،(١٤٨/٢) وعن أنس(٤٦/٤).

[٧]– الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الفكر– لبنان– ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م، ط١، تحقيق: سعيد المندوب(٧١/١)، ولباب النقول، السيوطي، ضبطه: أحمد عبدالشافي، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان(١٣/١).

[٨]– مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ الهيثمي، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن جحر، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، سنة ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م(٣٧٥/٥).

دراسة إسناد الحديث

عرفنا أن الحديث أخرجه كثير من أهل الحديث، ومن بينهم الإمامان البخاري ومسلم، فأفضل عدم الخوض في سرد رجاله؛ لأن النص صحيح وسليم من ناحية المتن والسند أيضا .

المبحث الثاني

معنى الحديث وتحليل ألفاظه ودلالة فقراته

يتكون المبحث من مطلبين

المطلب الأول

معنى الحديث

هذا الحديث مع اختصاره وقلة كلماته، يشتمل على أمور في غاية الأهمية، حيث يجعل الإنسان أمام المسؤولية نحو جميع تصرفاته في الحياة، بغض النظر عن مكانته العلمية أو الإجتماعية أو السياسية أو غيرها، ويجعله على صلة بدينه عند جميع أموره، فيطلب من الجميع أن يكونوا بمستوى المسؤولية، فيما بين يديهم، وتحت رعايتهم، ويحث الإنسان أن يبدأ بنفسه قبل غيره، فإنه يصدق عليه أنه راع على جوارحه حتى يعمل المأمورات ويجتنب المنهيات فعلا ونطقا واعتقادا، فجوارحه وحواسه رعيته، ولا يلزم من الإتصاف بكونه راعيا أن لا يكون مرعيا باعتبار آخر[١]، ومن ثم القيام بما يجب عليه في حق غيره، ولو تمسك الإنسان بهذا المنهج ليحقق السعادة والفوز له ولأخيه الإنسان؛ لأن كل واحد يؤدي مايجب عليه دون تعد وتقصير وتعسف.

ويتبين في الحديث: أن الراعي ليس مطلوبا لذاته وانما أقيم لحفظ ما استرعاه المالك فينبغي أن لا يتصرف إلا بما أذن الشارع فيه[٢]، وهذا الحديث من جوامع كلم الرسول الكريم(ﷺ)، وفيه الإجمال والتفصيل، أجمل في الأول وفي الآخر، والإجمال في الآخر من باب التأكيد، وفصل في الوسط بأن ذكر أمثلة من الولاة، وهم: الأمير، وصاحب البيت، والمرأة في بيت زوجها[٣]، فكل من يحفظ شيئا فهو راع، وكل مَن لم يعامل الرعية بالرحمة، وأهمل أمرهم وضيع حقهم، سيحاسب على الرعية، و(حرم الله عليه دخول الجنة) قبل تطهيره بالنار؛ لأن الراعي ليس بمطلوب لذاته، وإنما أقيم لحفظ ما استرعاه، فإذا لم يتصرف فيه بما أُمر به، فقد غش وخان فاستحق دخول دار الهوان، وهذا شامل حتى للرجل الذي هو من آحاد الناس
فإنه راع لعياله، فإذا لم ينظر إليهم بالشفقة والعطف والإحسان فهو داخل في هذا الوعيد الشديد[٤].

المطلب الثاني

تحليل ألفاظ الحديث ودلالة فقراته

ألا: بفتحتين وتخفيف اللام حرف افتتاح وتنبيه[٥].

---

[١] – فتح الباري – ابن حجر(١١٣/١٣)

[٢] – فتح الباري(٩/ ١٩٨)، التيسير بشرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي– الرياض– ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م، ط٣،(٤٢٩/٢)، وتحفة الأحوذي شرح الترمذي، المباركفوري، دار الكتب العلمية – بيروت(٢٩٤/٥–٢٩٥)، شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، المكتب الإسلامي– دمشق ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ط٢، تحقيق: الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش(٦٢/١٠)، شرح مسلم النووي، (٢٢٤/٤).

[٣]– فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي(١٣/ ٢٦٨) .

[٤]– فيض القدير(٣٩٩/١١) بتصرف يسير بحذف رواية واردة غي الكتابة.

[٥] – فتح الباري (١٩٧/٩)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري(٢٢١/٢٤)

كلكم راع: فيه تشبيه بليغ: أي: مثل الراعي، قال الطيبي: تشبيه مضمر الأداة..، وهذا مطرد في التفصيل، ووجه التشبيه: حفظ الشيء وحسن التعهد، وهذا القدر المشترك في التفصيل، وأفرد الخبر(راع) اعتباراً بلفظ كل، ويجوز فيها إذا كانت مضافة إلى المعرفة اعتبار لفظها واعتبار معناها[١].

لفظ راع: أصله راعي[٢]، وقد سبق الحديث عن هذا في بداية البحث، فالراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما اؤتمن على حفظه, فهو مطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه.

والرعاية عبارة عن: حفظ الشيء، وهناك فرق دقيق بين لفظتي(الحفظ والرعاية) وهو: أن الحفظ صرف المكاره عن الشيء لئلا يهلك، وأما الرعاية فهي: فعل السبب الذي يصرف المكاره عنه[٣]، ومن ثم الإضاعة: نقيض الحفظ، والإهمال: نقيض الرعاية، فيقال للماشية إذا لم يكن لها راع همل، والإهمال هو ما يؤدي إلى الضياع، فيقال فلان يرعى العهود بينه وبين فلان أي: يحفظ الأسباب التي تبقى معها تلك العهود[٤].

ومعنى المقطع: كلكم ملتزم بحفظ ما يطالب به من العدل إن كان ولياً، ومن عدم الخيانة إن كان مولياً عليه، وكلكم مسؤول عما التزم حفظه يوم القيامة[٥].

قال الماوردي:" الراعي والرعية، والسائس والمسوس هما من أسماء الإضافة لا بقاء لأحدهما إلا بالآخر، وأنه ليس حاجة الراعي إلى الرعية بأقل من حاجة الرعية إلى الراعي وكذلك الملك..، ولذلك ما مثّل الناس الرعية بالبدن، والراعي بالرأس، وقالوا إن الرعية إذا هلكت هلك الراعي، وإذا فسدت فسدت حاله، وقال أيضا: والرعية كلما كانت أغنى وأسرى وأجل حالا في دين ودنيا، ومملكة (الراعي) كلما كانت أعمر وأوسع كان الملك أعظم"[٦].

و(الأمير الذي على الناس): مبتدأ(راع عليهم): خبره، وفي رواية:(فالإمام الذي على الناس) بدل الأمير، أي: ويقصد به الإمام الأعظم، وفي رواية (وهو مسؤول) بإثبات ضمير الفصل(وهو)، وفي الجميع بحذفه، وهي مقدرة.

قوله(ﷺ):(والرجل راع على أهل بيته)، في رواية سالم (في أهل بيته)، أي: زوجته وغيرها (وهو) أي: الرجل، (وولده): أي ولد بعلها، فهو مسؤول عن أهل بيته هل وفاهم حقوقهم من كسوة ونفقة وغيرها كحسن عشرة أو لا ؟.

قوله(ﷺ):(والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده)، وفي رواية عبيد الله بن عمر(على بيت بعلها) وفي رواية سالم (في بيت زوجها) ومعانيها متقاربة[٧]،(وهي مسئولة عنهم) أي: عن حق زوجها وأولاده، والضمير في(عنهم) راجع إلى بيت زوجها وولده وغلب العقلاء فيه على غيرهم. ومسئولية المرأة تكون بحسن تدبير المعيشة والأمانة في ماله وغير ذلك.

(فكلكم): قال العلقمي: الفاء جواب شرط محذوف، ودخل في هذا العموم المنفرد الذي لا زوج له ولا خادم فإنه يصدق عليه أنه راع في جوارحه حتى يعمل المأمورات ويتجنب المنهيات[٨] .

قوله(ﷺ):(ألا فكلكم راع وكلكم إلخ): تمثيل ليس في الباب ألطف، ولا أجمع ولا أبلغ منه، فإنه أجمل أولا، ثم فصل وأتى بحرف التنبيه مكررا، وختم بما يشبه الفذلكة إشارة إلى استيفاء التفصيل[٩].

---

[١]– فيض القدير، المناوي،(٥/٢٨–٢٩)، وتحفة الأحوذي(٥/٤٩)، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين(٥/١٢٦).

[٢] – عمدة القاري شرح صحيح البخاري(٣٨/١٣٨)

[٣] – الفروق اللغوية(١/١٩٢).

[٤] – نفسه.

[٥] – تفسير روح البيان (١٠/٤٧).

[٦]– نصيحة الملوك ونصيحة الملوك، لأبي حسن الماوردي(ت ٤٥٠هـ) تحقيق: محمد خضر محمد، ط ١، مكتبة الفلاح، الكويت، سنة (١٩٨٣م) (ص١٩٦).

[٧]– فتح الباري(٩/ ١٩٧–١٩٨).

[٨]– عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق ابادي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ،(١٣/١١٣)، فتح الباري (٩/ ١٩٨).

[٩]– فتح الباري(٩/١٩٨)، عون المعبود(٨/١٠٤)، وعمدة القاري(٤٥/٣٢٨)، تحفة الأحوذي – (٥/٢٩٥).

(وكلكم مسؤول عن رعيته) عمم أولاً ثم خصص ثانيا، وقسم الخصوصية إلى جهة الرجل، وجهة المرأة، وجهة الخادم، وجهة النسب، ثم عم آخرا تأكيد البيان الحكم أولا وآخرا، وفيه رد العجز على الصدر[١].

(وكلكم مسئول عن رعيته) أي: في الآخرة فإن وفى ما عليه من الرعاية حصل له الحظ الأوفر وإلا طالبه كل أحد منهم بحقه.

قال الخطابي: اشترك الإمام والرجل ومن ذكر في التسمية أي: في الوصف بالراعي ومعانيهم مختلفه فرعاية الإمام الاعظم حياطة الشريعة بإقامة الحدود والعدل في الحكم ورعاية الرجل أهله سياسته لأمرهم وايصالهم حقوقهم ورعاية المرأة تدبير أمر البيت والأولاد والخدم والنصيحة للزوج في كل ذلك ورعاية الخادم حفظ ما تحت يده والقيام بما يجب عليه من خدمته[٢].

وقال بعض الشراح: دخل في هذا العموم المنفرد الذي لا زوج له ولاخادم ولا ولد، .. ولا يلزم من الاتصاف بكونه راعيا ان لايكون مرعيا باعتبار آخر، واستدل به على أن المكلف يؤاخذ بالتقصير في أمر من هو في حكمه[٣].

وكلكم مسئول عن رعيته: ختم الحديث بما بدأ به؛ فبدأ بهذا التعميم، ثم فصل ثم ختم بالتعميم، وهذا كله لتأكيد أمر الولاية، وأن كل إنسان مسؤول عما ولاه الله عليه، وليس هذا مقصوراً على هذه الأصناف الأربعة، بل يعم كل من يكون مسئولاً عن شيء، ومن يكون والياً على شيء، سواءً كان أميراً أو موظفاً أو ما إلى ذلك[٤].

المسائل الأصولية:

أول ما ورد في الحديث لفظة: كل: كلكم راع: وتكرر في الحديث عدا الأولى مرتان، وهي من الناحية الأصولية (لفظ عام) يفيد العموم، على سبيل الإفراد، فمدلولها الإحاطة بكل فرد من الجزئيات إن أضيفت إلى النكرة، أو الأجزاء إن أضيفت إلى معرفة، ولهذا قال القاضي عبد الوهاب: ليس بعدها في كلام العرب كلمة أعم منها، ولا فرق بين أن تقع مبتدأ بها أو تابعة، وهي تشمل العاقل وغيره، والمذكر والمؤنث، والمفرد والمثنى والمجموع، فلذلك كانت أقوى صيغ العموم، وتكون في الجميع بلفظ واحد، تقول: كل الناس، وكل القوم، وكل رجل، وكل امرأة[٥] وهنا(كل) مضافة إلى الضمير(كم) والضمائر من المعارف.

وقد يقال: ألفاظ العموم يطرأ عليها التخصيص فهل لفظة (كل) هنا خصصت؟.

للإجابة على هذا السؤال نقول: نعم قد قال أهل الأصول ما من عام إلا وقد خصص، فلفظة (كل) هنا خصصت فهي لاتشمل الصبيان والمجانين، فليس عليهما المسؤولية، والدليل النصوص التي رفعت عنهم التكليف وهي معروفة.

وبعد هذا التعميم ورد ذكر الإمام والرجل والمرأة... وهذا تخصيص بعد التعميم لزيادة الإهتمام والانتباه.

المبحث الثالث

دراسة موضوعية للحديث

المطلب الأول

وقفات مع موضوعات الحديث

يحتوي الحديث على موضوعات وفقرات، وأغلبها لها معان، وإن اجتمع جميعها في نهاية المطاف حول موضوع المسئولية، وقد ورد في كل موضوع نصوص كثيرة بحيث لايمكن الإتيان بها جميعا، فاخترت

نماذج من النصوص المتعلقة بكل موضوع من الموضوعات دون تعرض لشرح وتفسيرها لوضوح معانيها من جهة، وخوفا من الإطالة من جهة أخرى، ومن المباحث الموضوعية الواردة في الحديث:

---

[١]– حكي هذا عن البيضاوي، ينظر: فيض القدير، المناوي(٥/٢٨-٢٩)، وتحفة الأحوذي(٥/٤٩).

[٢] – فتح الباري(٩/ ١٩٨)

[٣]– فتح الباري(٩/١٩٨)، التيسير بشرح الجامع الصغير(٢/٤٢٩)، وتحفة الأحوذي(٥/٢٩٤-٢٩٥)، وشرح السنة للإمام البغوى(١٠/٦٢) شرح صحيح مسلم، النووي،(٤/٢٢٤).

[٤] – فيض القدير(١٣/٢٦٨).

[٥]– البحر المحيط في أصول الفقه، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي(ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م (٢/٢٢٩).

الموضوع الأول: وهو (كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته)، وهذا عنوان النص ومقدمته، وفيه براعة الإستهلال، لأن العنوان والمقدمة توضح مايحتويه النص، وكما نرى هو يتكون من قسمين:

الأول: يخبر أن كل إنسان تقع على عاتقه المسئولية، وبالتالي فهو راع، والراعي حافظ ومسئول ينبغي أن يقوم بمهامه، وأن يكون المسئول كالراعي لرعيته، فيتحلى بالعدل في حكمه وتصرفاته، ويراعي مصالح العام في دولته، هذا هو المقطع الأول من النص.

القسم الثاني: وهو(وكلكم مسؤول عن رعيته) يلزم على كل فرد أن يحس بهذه المسئولية، ويقوم بما تقتضيه، وهذا المقطع يتضمن الأمور الآتية:

الأول: أن كل إنسان مكلف بحكم وجوده في الحياة وسيكون مسئولا ومحاسبا عليه، وأنه يفوض إليه أمانات بدأً بجوارحه وأعضائه وانتهاء بما سيولي أمر الناس، ومادام هناك أمانات فلابد من تحمل المسؤولية، ولا مفر من ذلك، وكل واحد يحساب على هذه المسؤولية، دينيا وربما دنيويا أيضا، وقد أيدت نصوص هذا المعنى في القرآن الكريم والسنة النبوية، فمن الآيات التي أكدت نفس المعنى، ففي مسئولية الجوارح، قال تعالى:﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ الإسراء: ٣٦، الإنسان مسؤول عما استعمَل في جوارحه﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا﴾ الإسراء: ٣٦، فإذا استعمَلها في الخير نال الثواب، وإذا استعملها في الشر نال العقاب، وكذلك الحال في المسئولية الأخروية أيضا، ففي السنة:(لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه)[١].

الثاني: يحذر الإنسان عن التقصير عند تحمل المسئولية، وقد ثبتت نصوص بهذا الشأن أيضا، آمرة بالعدل وناهية عن الظلم والجور والتقصير في تحمل المسئولية وأداء الأمانة، قال تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ النساء من الآية(٥٨)، ومن السنة حديث عن أنس(ﷺ):(إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ أم ضيعه)[٢]. وعلى هذا فمن انحرف فلم يقم بما أوجبه الله عليه في أمور رعيته فقد ظلم نفسه، وأوقع نفسه في المهلكة ليوم الحساب.

الثالث: المسؤولية الواردة في الحديث وإن كان المراد بها المسئولية والمحاسبة الأخروية لكنه لاتنفي أن يحاسب أو يعاقب المرء في الدنيا على تقصيره في أداء المسؤولية، واستنباط هذا المعنى من النص لا تكَلُّف فيه بل سائغ ومشروع، خصوصا إذا رجعنا إلى نصوص أخرى تثبت هذه المسئولية الدنيوية أيضا، ومن ذلك مشروعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما يأمر الإنسان غيره إذا رأى أنه قد قصر في أداء أمانة، وتحمل مسؤولية، وهذا نوع من المحاسبة، ولأن الإنسان قد يتعرض للعقوبة الدنيوية بسبب التقصير والظلم والعصيان، وبرهان ذلك ورد في القرآن والسنة، وأما القرآن الكريم نحن نقرأ فيه قصص الأمم والأقوام الذين عصوا ربهم فأرسل الله تعالى عليهم العذاب وقصصهم معروفة، قال تعالى:﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ الأنعام(٦).

وقد نجد في السنة محاسبة بعض الناس على تصرفاتهم، ومن ذلك لما قَتل صحابي من تلفظ بالشهادة، قال(ﷺ):(من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟، فقال الصحابي: يا رسول الله إنما قالها مخافة السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك قالها أم لا ؟! ...)[٣]،

---

[١]– أخرجه الترمذى كتاب صفة القيامة، باب في القيامة..، رقم(٦١٢/٤)، رقم(٢٤١٧) وقال: حسن صحيح.

[٢]– أخرجه أبو نعيم فى الحلية(٢٣٥/٩)، والنسائى فى الكبرى(٣٧٤/٥، رقم ٩١٧٤)، وابن حبان في صحيحه، باب في الخلافة والإمارة،(٣٤٥/١٠)، رقم(٤٤٩٣). وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله رجال الشيخين، وهو مرسل، وأخرجه أيضًا الترمذى رقم(١٧٠٥)،(٢٠٨/٤)، وأكد أنه مرسل عن الحسن.

[٣]– هذه قصة معروفة أخرجها أهل الصحاح والسنن والمسانيد بألفاظ مختلفة، والصحابي الذي قام بالفعل المذكور وهو أسامة بن زيد(رضي الله عنهما) ينظر: صحيح مسلم، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال..(٩٦/١)، رقم(٩٦) سنن أبي داود، باب على ما يقاتل المشركون (٣٤٨/٢) رقم(٢٦٤٥).

وقوله(ﷺ) المشهور لأبي ذر(رضي الله عنه):(إنك امرؤ فيك جاهلية)[1]، فهذه أمثلة من المحاسبة الدنيوية من قبل رسول الله(ﷺ)، قثبت بهذا المسئولية الدنيوية عند التقصير والتعسف.

وهذا هو الموضوع الأول وقد عمم فيه المسئولية، وإن لم يلج في التفصيل والجزئيات، إلا أنه شامل لجميع أنواع المسئولية، ولكل أصناف المجتمع، وبعد ذلك يشرع في التفصيلات على النحو التالي.

الموضوع الثاني:(فَالأَمِيرُ الّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ): ففصل بعد التعميم الذي سبق، وأول ما ورد ذكره في التفصيل هو الأمير على الناس، أو الأمام الأول، فأورد أصنافا مسئولياتهم حساسة، وفي غاية الأهمية، فذكر الأمير والرجل والمرأة وغيرهم على ما تراه فيما بعد، وإنما أتى بهذه الأمثلة لتبين أن الحكم كلي عام غير مخصوص، فلا يتخلف عنه فرد من أفراد الولاية عامة كانت أو خاصة[2].

ولا ريب أن مسؤولية الأمراء والأئمة والمسئولين كبيرة وكثيرة وواسعة، فحياة جميع المجتمع على عاتقهم من حيث المسئولية، فالأمير أو المسئول بمصطلح اليوم لهم دورهم في إصلاح البلاد وخرابها، وقد قيل الناس على دين ملوكهم[3]، فهم السبب في كثير من تقلبات وتحولات أبناء المجتمع من عدة نواحي الإجتماعية والثقافية وحتى العلمية، فمنهجهم لكيفية الحكم وتطور البلاد والتشاور بأهل الإختصاص في جميع المجالات يتضمن حياة سعيدة، وقد تحدث العلماء عن مسئولية الأمير والإمام– في ظل المصالح والمقاصد– وركزوا على أهمها فجمعوها في قرابة عشرة نقاط وسموها واجبات الامام: ومنهم الماوردي وأبو يعلى وغيرهما[4]. ومن ثم وردت نصوص تحذر التقصير في أداء المسئولية، وهي في حقيقتها مؤيدة ومؤكدة لهذا النص ومعناه، وهي كثيرة، ونحن نذكر نماذج منها:

قوله(ﷺ):(ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة)[5]، وفي رواية:(.... يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة)[6]. وفي أخرى:(أيما راع لم يرحم رعيته حرم الله عليه الجنة)[7].

قال ابن بطال: هذا وعيد شديد على أئمة الجور فمن ضيع من استرعاه الله أو خانهم أو ظلمهم فقد توجه إليه الطلب بمظالم العباد يوم القيامة فكيف يقدر على التحلل من ظلم أمة عظيمة[8].

وقد فهم سلفنا هذه النصوص وتعاملوا بها لذلك قال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب(رضي الله عنه):(لئن ضلت شاة على شاطئ الفرات لخشيت أن يسألني الله عنها يوم القيامة)[9].

وكما وردت نصوص تحذر من لا يهتم بأمور رعيته ولا يحس بالمسئولية تجاههم، فقد ثبتت نصوص أخرى تبشر القائمين على الرعية بالعدل والإحسان منها:

---

[1]– أخرجه البخاري باب المعاصي..،(٢٠/١) رقم(٣٠)، ومسلم باب إطعام المملوك(١٢٨٢/٣)، رقم(١٦٦١).

[2]– ينظر: الإبهاج، السبكي(٥٢/٢)، الموافقات، الشاطبي، دار المعرفة– بيروت، تحقيق: الدراز(٣٣٢/٢).

[3] – المصنف–ابن أبي شيبة (٢٩٤/٩)، وفتح الباري (٢٢٥/٢١) ولم ينسب القول إلى قائل محدد.

[4]– راجع: الأحكام السلطانية للماوردي،(ت ٤٥٠ هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م،(ص١٤)، ونصيحة الملوك، لأبي حسن الماوردي(ص٢٠٠وما بعدها)، والأحكام السلطانية، لأبي يعلى، الحنبلي(ت٤٥٨هـ) حققه محمد حامد، دار الكتب العربية، لبنان– بيروت، سنة ٢٠٠٠م(ص٢٧–٢٨)، وغياث الأمم في التياث الظلم، لأمام الحرمين(ت٤٧٨هـ)، تحقيق: د. حلمي، دار الدعوة بالأسكندرية(١٤٠٠ هـ)، (ص١٣٥–١٧٦)، وتحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، بدر الدين بن جماعة(ت٧٣٣هـ) تحقيق: د. فواز عبدالمنعم، ط١٩٨٥،١م، مطبوع في القطر(٦٥– ٦٨).

[5]– البخاري باب من استرعي رعية فلم ينصح(٢١١٤/٦) رقم(٦٧٣١) ومسلم في الإيمان باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، وفي الإمارة باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر . . رقم ١٤٢).

[6]– أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب من استرعي رعية ..، ١٢٦/١٣–١٢٧، رقم ٧١٥٠/٧١٥١، ومسلم في "كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، ١٢٥/١، رقم ٢٢٧.

[7]– كنز العمال(٣٠/٦)(١٤٦٥٩) الجامع الصغير(٤٦٦/١) فيض القدير(٣٩٩/١١) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع: رقم(٢٢٣١) .

[8]– عمدة القاري شرح صحيح البخاري(٢١٥/٢٠)، فتح الباري– ابن حجر(١٢٨/١٣).

[9]– أخرجه البيهقي شعب الإيمان، فصل في نصيحة الولاة ووعظهم(٣١/٦)، رقم(٧٤١٥)

وقوله(ﷺ):(إن المقسطين يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن...)[١]. قوله(ﷺ):(سبعة يُظلُّهُمُ اللّهُ تحت ظِلِّه يوم لا ظلّ إلاّ ظِلُّه: ومنهم: الإمَامُ الْعَادِلُ....) الحديث[٢]. وقوله(ﷺ):(ثَلاَثَةٌ لاَ تُرَدُّ دَعْوَتُهُمُ، الإِمَامُ الْعَادِلُ...) الحديث[٣].

الموضوع الثالث: مسئولية الرجل: تحدث النص عن مسؤولية خاصة في غاية الأهمية: وهي مسئولية الرجل تجاه أهل بيته قال(ﷺ):(وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ)، من واجبات الرجل كزوج أولا وأب ثانيا وكراع الكل ثالثا، فهو مسئول في محاور عدة منها: طلب العيش وإيجاد النفقة من المأكل والمشرب والملبس والمسكن، فيقوم بما يناسبه وفي وسعه من الأعمال، وهذا ليس أمرا هينا فكثير ممن صاروا أبا يعرفون صعوبة هذا الأمر، ومع ذلك يضحي الأب ويتعب من أجل حياة كريمة لأهله، فلا يحس بالتعب أصلا، ولا تقتصر واجباته في هذا بل من ضمن مسئولياته تقديم الإرشاد والنصائح لأهله وزوجته قال تعالى:﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ طه(١٣٢). وأن يحذرها مما حذر الله ورسوله عنها من الموبقات خصوصا ما يتعلق بالنساء. ويمتد مسئوليته إلى الأولاد أيضا فيجب عليه أن يعلم أولاده الآداب والأخلاق الإسلامية، ويحبب إليهم بلطف وطيب الكلام، وكل ذلك هين في بداية سن الطفل، ولأن دور الوالدين لا يخفى على أحد، ففي السنة:(كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه)[٤]، وقد قص القرآن الكريم نصائح لقمان الحكيم لابنه البار[٥]، قال ابن القيم:" وكم ممن أشقى ولده، وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله، وترك تأديبه، وإعانته على شهواته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، .."[٦].ولقد وردت نصوص شرعية آمرة بالإحسان إلى الأولاد، وتحذر التقصير عن حقوقهم، فالأهل والأولاد من نعم الله سبحانه وتعالى، ومع ذلك أمانة في عنق الرجل ينبغي أن يقوم بما أوجب الله عليه في حقهم، من يشجعهم للعبادات والقربات وأن يتحلون بفاضل الأخلاق والتجنب عن رذائلها.

الموضوع الرابع:(وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ) المرأة في الإسلام لها موقعا ومكانة، فلها حقوق وعليها واجبات قال تعالى:﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ البقرة: ٢٨) فهي مسئولة عن حاجات زوجها الشخصية وهي معروفة، ومسئولة عن أمور البيت والتربية فكلها في عاتقها.

فأما مسئولياتها تجاه الزوج: يجب عليها أن تتعامل بالحسن وتقدر جهود زوجها، وتلين بالكلام، وتحقق طلبات الزوج، ولا تقوم بعمل دون إستشارة، ففي السنة:(أيما امرأة صامت بغير إذن زوجها فأرادها على شيء فامتنعت عليه كتب الله عليها ثلاثا من الكبائر)[٧]، والمقصود به النفل؛ لأن الفرض لا رخصة فيه إلا لمن استثنتهم الشريعة، هذه الرواية، وإن كان فيها مقال إلا أن لها شواهد تؤيد معناها، وأن الفقهاء أفتوا بأن صومها مقبولة مع كونها آثمة لتعسفها في استعمال الحق، فهي صامت لكن زوجها انحرم من حقه بسبب الصوم[٨]، ولا تحرم زوجها من المعاشرة الزوجية؛ لأنه ورد في السنة:(إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع) [٩]، فيجب طاعة زوجها فيما يتعلق بما سبق، فربما منعها تؤدي بالزوج إلى الإنحراف والسير باتجاه خطأ، فلذلك ورد هذا الوعيد .

---

[١]– أخرجه مسلم في "صحيحه" "كتاب الإمارة، باب فضيلة الإم العادل (٧/٦) رقم(٤٨٢٥).

[٢]– أخرجه البخاري باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة..(٢٣٤/١) رقم(٦٢٩) ومسلم في الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة،(٢/ ٧١٥) رقم ١٠٣١).

[٣]– أخرجه أحمد(٤٤٥/٢، رقم ٩٧٤١)، والترمذى في السنن(٥٧٨/٥، رقم ٣٥٩٨) وحسنه .

[٤]– أخرجه مسلم ، باب معنى كل مولود يولد.. (٢٠٤٧/٤)، رقم(٢٦٥٨).

[٥]– سورة لقمان الآيتين:(١٧–١٩).

[٦]– تحفة المودود بأحكام المولود، محمد بن أبي بكر أيوب الأزرعي، مكتبة دار البيان– دمشق، ط١،١٣٩١– ١٩٧١، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط(ص٢٤٢).

[٧]– مجمع الزوائد(٤٥٧/٣)، رقم(٥٢٢٠)، رواه الطبراني في الأوسط(١٢/١) وفيه بقية وهو ثقة ولكنه مدلس.

[٨]– طرح التثريب، عبد الرحيم بن الحسيني العراقي، تحقيق عبد القادر محمد، دار الكتب العلمية، سنة ٢٠٠٠م، بيروت– لبنان(٤/ ١٣٥).

[٩]– البخاري باب إذا باتت المرأة(١٩٩٣/٥)(٤٨٩٧)، ومسلم باب تحريم امتناعها..(١٠٥٩/٢)، رقم(١٤٣٦).

والرسول(ﷺ) جمع مواصفات الزوجة الناجحة، فقال(ﷺ):(خير النساء من تسرك إذا أبصرت، وتطيعك إذا أمرت، وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك)[١]. وقد بشر الرسول(ﷺ) الزوجة التي رضي عنها زوجها، فقال(ﷺ):(أيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ، وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الجَنَّةَ[٢].

هناك نصوص حول مكانة المرأة وموقعها والوصية للرجال في التعامل معهن، منها:

فالمرأة زينة الحياة ومتعتها، قال(ﷺ):(الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة)[٣]. وقد حبب النساء إلى الرسول كما قال(ﷺ):(حبب إلي من الدنيا النساء)[٤]. قال تعالى آمراً الرجال :﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ النساء من(١٩)، وأوصى رسوله(ﷺ) بالنساء، بقوله:(اتَّقُوا اللهَ في النِّساء، فإنكم أخذتموهُنَّ بأمان الله،...[٥]، وقال(ﷺ)أيضا:(خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)[٦].

مسئوليات المرأة عن البيت:

المرأة مسئولة عن البيت في فعليها أن تحسن تدبير المعيشة والشفقة والأمانة وحفظ نفسها ومال الزوج وأطفاله وأضيافه[٧].

وينبغي أن تتصرف بالحسن حتى عند شح الزوج أن لا تفكر بروح الانتقام بل تبحث عن العدل قال(ﷺ) لهند زوجة أبي سفيان لما شكت شح زوجها:(خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك)[٨].

وظيفة البيت ليست أقل من عمل الرجل خارج البيت، فقد روي:(مهنة إحداكن في بيتها تدرك جهاد المجاهدين إن شاء الله تعالى[٩]، فقد حدثت وتحدث مشاكل أسرية أحيانا بسبب الإهمال في ترتيب البيت وعدم الإهتمام بأمور البيت، فكما يجب على الرجل محاولة الكسب الحلال، فكذلك يجب عليها أن تقوم بواجبها تجاه البيت، فلا تكون مبذرة ولا شحيحة، ولا تتعامل مع أقرباء الزوج بسوء الأدب وعدم الإحترام، وكذلك ينبغي أن تحسن تعاملها مع الجار.

مسئولية المرأة كأم ومربية:

كل ما قيل حول مسئولية الأب يشمل الأم بل هي الأولى؛ لأنها هي المدرسة الحقيقية الأولى للإنسان، بيّن هذا النص الذي كنا بصدد الحديث عنه، أن رعاية البيت وتربية الأولاد بالنسبة للمرأة تعتبر من أعظم واجباتها التي تسأل عنها، وأن هذا الواجب هو الأولى والمقدم على غيره، بل التربية الصحيحة أساسها البيت وعلى يدي الأم، وفي مدرستها فهي أول إنسان يعرفها الطفل من البداية، وهي أقرب الإنسان إلى طفلها فأكثر الأطفال يحبون الأم أكثر من الأب، فتربية البيت أساس المجتمع، وتربية المنزل والبيت أول لبنة الاصلاح والإحساس بالمسئولية، وعماد هذه التربية وركيزتها الأساسية هي الأم.

ذكرنا واجبات الأب تجاه الأولاد إلا أن واجبه ربما يقتصر على الخطوط العريضة بالنسبة لأولاده؛ لأنه عليه واجبات أخرى خارج البيت فكم من آباء لا يرجعون إلى بيتهم إلا مع غروب الشمس، أو يغيبون عن البيت أياما، فهو يأمر أولاده ويرشد وينصح لكن تبقى تطبيقات هذه الأمور على عاتق الأم باعتبار أنها رفيقة دربهم، فلا تتركهم إلا نادرا فهي تتابع تصرفات

---

[١]-كنز العمال(٤١/٢٣) (٤٥١١٣٧)، قال الالباني: ضعيف، في صحيح وضعيف الجامع، رقم (٢٢٢٦).

[٢]- أخرجه الترمذى(٤٦٦/٣، رقم ١١٦١) وقال: حسن غريب ، وابن ماجه(٥٩٥/١، رقم ١٨٥٤)، والحاكم (١٩١/٤، رقم ٧٣٢٨) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في تعليقه: صحيح.

[٣]- رواه مسلم، باب خير متاع الدنيا (١٠٩٠/٢)، رقم(١٤٦٧).

[٤]- مسند أحمد(١٢٨/٣) رقم(١٢٣١٥) قال شعيب الأرنؤوط إسناده حسن، والنسائي في السنن الكبرى – باب حب النساء(٢٨٠/٥)، رقم(٨٨٨٧).

[٥]- أخرجه مسلم باب حجة النبي رقم(١٢١٨)،(٨٨٦/٢) وأبو داود باب صفة حجه، رقم(٤٢٧) (١٢٩/٢).

[٦] – سنن الترمذي (٧٠٩/٥) رقم(٣٨٩٥) وقال: حسن غريب صحيح، وصححه الألباني. وأخرجه ابن ماجه(٦٣٦/١، رقم ١٩٧٨)، قال البوصيرى (١١٨/٢) هذا إسناد صحيح رجاله ثقات .

[٧]- تحفة الأحوذي – المباركفوري(٢٩٥/٥).

[٨]- صحيح مسلم أخرجه البخارى(٢٦٢٦/٦، رقم ٦٧٥٨)، ومسلم باب قضية هند(١٣٣٨/٣، رقم ١٧١٤)

[٩]- أخرجه أبو يعلى(١٤٠/٦، رقم ٣٤١٥) قال حسين سليم أسد: إسناده ضعيف، وقال الهيثمى(٣٠٤/٤): فيه روح بن المسيب وثقه ابن معين، وأخرجه أيضًا: ابن حبان فى الضعفاء(٢٩٩/١، ترجمة ٣٤٥)، وابن عدى(١٤٣/٣، ترجمة (٦٦٤) روح بن المسيب الكلبى البصرى) .

الطفل وتتطلع على كل ما يتعلق بهم من الآداب والأخلاق والأفكار، والأمور التطبيقية التي هي من واجبات الأم أكثر أصعب بكثير من المسائل النظرية، فلذلك فُضّل حق الأم على الأب ناهيك عن صعوبات الحمل والرضاع وغيرهما، فالأم خصوصا في أيامنا صارت الناظرة الحقيقية لخطوات الأولاد فهي تأخذ بيدهم إلى المسار الصحيح، أعتقد أن القارئ الكريم لما يقرأ هذه الكلمات يتذكر مصداقيتها لأن كلاًّمنا رأينا هذه المرحلة، ونشعر بمعية الأم معنا في كل لحظة، ومتى تأثير كلامها في نفوس الأولاد .

فلذلك ينبغي على الأم أن تقوم وتحس بمسئولياتها تجاه أولادها ففي أيامنا وللأسف لضعف الوازع الديني نرى أن الأم قد تكون سببا لإنحراف الأولاد وذلك مؤثرة بالأعراف والعادات المستوردة الغريبة بمجتمعاتنا.

وإذا نظرنا إلى نص الحديث:(المرأة راعية على بيْتِ بعْلِها وولَده) أضاف الولد للزوج، ويستنبط من هذا أن الزوجة ينبغي أن تهتم بأولاد الزوج، ولو من غيرها، وقد ورد في كفالة من لا ولي له من الأطفال والأيتام روايات صحيحة، قال(ﷺ):(كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة، وأشار مالك بالسبابة والوسطى[١]، وربما لم أبالغ إذا أقول اليتم الحقيقي وإن كان يطلق على من فقد أباه، لكن ثبت بالإستقراء أن كلنا رأينا حالات كثيرة من فقد الأطفال أباهم، لكن بقيت أمهم فقامت بتربيتهم دون مشاكل تذكر، ورأينا حالات كثيرة، أنهم فقدوا الأم، فاضطربت أمور الأطفال فلم يروا خيرا في حياتهم عند طفولتهم.

وما جزاؤها إذا كانت ملتزمة بواجباتها، وقامت بمسئولياتها؟:

قال(ﷺ):(إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت[٢]. ومن طاعة الزوج تربية الأولاد والنصح لهم فلا يوجد أب إلا يتمنى أن يكون أولاده أحسن وأفضل حتى من نفسه.

الموضوع الخامس: والعبدُ راعٍ على مالِ سيِّده وهو مسْئُول عنْه:

في القرون الماضية كان للعبد دوره في الحياة؛ لأنه كان مطلعا على أكثر أمور سيده، ويدير أغلب شئونه، وبالتالي كان في موقع المسؤولية، لذلك ذكره بعد التعميم، وهذا شامل لخادم والعامل وكل من يعمل لغيره.

هذا الحديث الجامع يحث العبد ويأمره بحفظ ما يفوض إليه من أمور سيده، فهو راع لكل ما يطلع عليه من الأمور المادية والمعنوية من الأسرار وما يخفى على غيره من شئون سيده، وقد قلت ظاهرة الإستعباد في كثير من الدول، والنص شامل لكل من ولي أمر أحد من عمال وخدم وموظف وغيرهم، فهو إنما ذكر العبد لانتشاره في ذلك الزمن لكن المقصود منه ليس الاسم فقط بل كل من تولى أمرا لابد أن يحس بالمسئولية ويؤدي واجبه دون تقصير وغش؛ لأنه ورد في السنة(من غش فليس مني[٣].

ومن نماذج النصوص الآمرة بمراعاة العبد وحسن التعامل معه:

قوله(ﷺ):(إنَّ إخوانَكُم خَوَلُكُم جَعلَهم اللَّهُ تَحْتَ أيدِيكُم فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدَيْهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ولْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَس وَلَا تُكلِّفوهُم مايغلِبُهُم، فان كلفتموهم ما يُغْلِبُهم فأعِينُوهُم[٤].

بل يمنع أن يقال عبدي، لقوله(ﷺ):(لا يقل أحدكم عبدي أمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي[٥].

عن أنس بن مالك قال كانت عامة وصية رسول الله(ﷺ) حين حضرته الوفاة، وهو يغرغر بنفسه:(الصلاة، ومامَلكت أيمانكم[٦] أي: العبيد والإماء. وكلنا نعرف أن الإسلام هو السبب الرئيسي للقضاء على قانون إلغاء الاستعباد فكم من نصوص

---

[١] – أخرجه مسلم، باب الإحسان إلى الأرملة (٢٢٨٧/٤ ، رقم ٢٩٨٣)

[٢]– أخرجه ابن حبان عن أبى هريرة(٤٧١/٩، رقم ٤١٦٣). والطبرانى فى الأوسط(٣٤/٥، رقم ٤٥٩٨)، وهو فى مجمع الزوائد(٣٠٦/٤) قال الهيثمى: فيه سعيد بن عفير لم أعرفه. أخرجه أحمد أيضا:(١٩١/١، رقم ١٦٦١) .

[٣] – أخرجه مسلم ، باب من غشنا..(٩٩/١)،(١٠٢)

[٤]– الأدب المفرد باب سباب العبيد(١٨٩) صحيح الأرواء (٢١٧٦) .

[٥] – البخاري، باب كراهية التطاول على الرقيق (٩٠١/٢) ، رقم(٢٤١٤)،

[٦] – سنن ابن ماجة باب هل أوصي رسول الله ﷺ (٢٠٠/٢) رقم(٢٦٩٧) وقال الألباني: صحيح.

آمرة بالعتق في الكفارات والنذور والصدقات، قال(ﷺ):(أيما رجل أعتق امرأ مسلما استنقذ الله بكل عضو منه عضوا منه من النار[١].

وهذه الموضوعات – عدا الموضوع الأول– كما ترى هي خاصة من جهة وعامة من جهة أخرى، فكل موضوع ركز على فئة معينة في المجتمع الإنساني فمن هذه الجهة الخطاب خاص بها، ولكنه عام من جهة أنه شامل لكل مسئوليات الفئة فلم يقتصر على مسئوليات محددة لأي فئة مما سبق.

وفي بعض روايات قال راوي الحديث وحسبت:(والرجل راع في مال أبيه) [٢]، فهو قد يدير أمور مالية أو غيرها لأبيه بحكم القرابة فيجب عليه أن يؤدي عمله باتقان ويحفظ ماله حسب المصلحة.

الموضوع السادس والأخير: عبارة عن تكرار ما ورد بالبداية لزيادة التقرير:(أَلا فكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)، وهذا المقطع عبارة عن تكرار الأول للتأكيد وزيادة الإهتمام وجلب الأنظار ومعرفة أهمية الموضوع والسعي لتحقيق مضمونه.

المطلب الثاني

أثر الحديث في الإحساس بالمسؤولية من محاور مختلفة

الإنسان بطبعه مخلوق إجتماعي يقضي حياته مع أمثاله، والحياة الإجتماعية بحاجة إلى نظام وقوانين، واحترام المقابل وعدم التجاوز عليه، وإلا لاضطربت الأمور وتعم الفوضى، فهنا تأتي أهمية الأمن ودوره، فهو نعمة عظيمة، بل من أعظم النعم؛ لأنه لا حياة سعيدة وآمنة بدونه، والشعور بالأمن غاية الإنسان منذ قديم الزمان، وفقد الأمن نقمة وبلاء وابتلاء، يتعرض لها الناس بسبب الظلم والانحراف والآثام من بعض

الخلق، وعدم الإحساس بالمسئولية.

ولو رجعنا إلى نصوص الشرعية لوجدنا أصولا أطلق عليها الضرورات، وإذا لم تحافظ عليها المجتمعات، ستجازف بحياتها، قال الشاطبي:" فأما الضروريات فمعناها أنها لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين"[٣]. والضرورات عبارة عن حفظ: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والعرض، والمال، ومنهم من أضاف إليها أمورا أخرى.

ولو أردنا الحديث عن مكانة الأمن في ظل الشريعة الغراء لنحتاج إلى مئات الصفحات، وليس هذا أمرا هينا لمثل هذا البحث، وذلك؛ لأن الإسلام في جميع مجالاته عبارة عن المسئولية، فلها حضور واقعي في كل أمر، وتحقيق الأمن مبني على هذا الإحساس، ولا يهدف البحث إلى هذا الموضوع، بل ولا تصفح الأحكام واحدا تلو الآخر لبيان الإحساس والشعور بالمسئولية وموطن الإهتمام بالأمن، وإنما عقدنا المطلب للكلام على علاقة الحديث (كلكم راع) بالأمن والإحساس بالمسئولية في مجلات عدة: أثر الحديث في الإحساس بالمسؤولية :

– علاقة الحديث بالأمن الفكري والنفسي:

مصطلح الأمن الفكري كمركب وصفي، لم يتطرق لتعريفه المتقدمون أما المعاصرون فقد ذكروا تعريفات، لكن أكثرها لايخلو من الحشو والتكرار، وإذا أردنا صياغة تعريف مناسب له أقرب لحقيقته نقول: هو التمتع بسلامة قوة التفكير والفهم والحفاظ على ضرورات الحياة وطمأنينة المجتمع والوسطية في كل شيء[٤]، وقد يعرف الشيء بأضداده فضد الأمن هو الخوف على النفس أو المال، قال تعالى:﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾

---

[١] – أخرجه البخاري واللفظ له، البخاري باب ما جاء في العتق وفضله(٨٩١/٢) رقم(٢٣٨١)، ومسلم باب فضل العتق، (٢/ ١١٤٧) رقم(١٥٠٩).

[٢]– أخرجه البخاري باب الجمعة في القرى (٣٠٤/١) رقم(٨٥٣).

[٣]– الموافقات بتحقيق الشيخ عبد الله دراز (٨/٢).

[٤]– ففي ظل تعريفاتهم بنيت تعريفي. ينظر: الأمن الفكري الإسلامي، سعيد بن مسفر الوادعي(ص٥١)، والأمن والتنمية، محمد نصير(ص١٢). ونحو مجتمع آمن فكريا، عبدالله الحفيظ بن عبدالله المالكي (ص٥٣)

البقرة الآية: ١٥٥)، فذكرت الآية الكريمة أضداد الأمن وهو الخوف وما بعده؛ قال تعالى:﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ قريش(٣-٤)، قارنه بالطعام والأموال والأولاد في أكثر من موضع.

١) أهمية الأمن الفكري:

الفكر والتفكير يمتاز به الإنسان عن غيره من المخلوقات والتفكير الصحيح يقدم الإنسان ويطوره على جميع المستويات(الفرد والأسرة والمجتمع)، وبالمقابل التفكير السقيم والمنحرف يؤدي إلى التخلف والدمار ويهلك العباد والبلاد، وقد يقال أهمية الشيء بحسب فائدته وثمرته ومقاصده، فهذا نتائج الفكر والتفكير عموما فكيف بالأمن الفكري؟، الذي هو ركيزة أساسية لقيام المجتمع وبقائه؟، فهو أمر ضروري، فمن جهة يوجه أبناء المجتمع إلى المسار الصحيح للتمتع بحياتهم دون الإنحراف والتحريف، وهذا غاية بني آدم وقد عدت السنة هذا في زمرة النعم حيث قال:(من أصبح منكم آمنًا في سربه ومعافى في جسده عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا)[١].

٢) من هو المطالب بالحفاظ على الأمن الفكري؟:

إذا كان للأمن الفكري مكانة في الحياة، ويتعلق بكل فرد يعيش في بقعة معينة، ولا يمكن القيام بالحفاظ عليه من قبل فئة ما، وفائدته عامة للجميع، فيجب على الجميع بالحفاظ عليه كل حسب موقعه ومكانته في المجتمع، فالفرد عليه أن يفكر بما يخدم به بلده وليس ما يشوش عليهم ويشكل مشاكل داخل المجتمع، والأسرة واجبهم تربية الأولاد والصغار على حب الإنسان والتفكيره نحوه بالود والمحبة. والمسئول يجب عليه الإجتناب عن الظلم والخدع والغش عن نفسه وغيره، ويتصدى لكل فكرة ونظرية وشائعة تضر المجتمع والأوطان من الناحية الفكرية.

فالمجتمع كلهم مطالبون بالأمن الفكري كل حسب موقعه سواء كان على مستوى الأفراد أو الأسرة أو رجال الفكر والعلم.

فعلى سبيل المثال لو المعلم أو المدرس لم يحس بالمسئولية قصّر في عملية التدريس ستكون عملية التدريس ناقصة، والطالب يتضرر بهذا وربما ينعكس ضرر التقصير على أفراد المجتمع عندما يتخرج الطالب فلايحسن التصرف في تخصصه بسبب تقصير المدرس في الماضي. فلابد أن يكون المدرس يحس بالمسئولية ويقوم بالحفاظ على واجبه في التربية، لأنه كما يقال المدرسة هي البيت الثاني للإنسان وكلنا مررنا بهذه المرحلة ونعرف مدى تأثير كلام وتصرفات المعلم والمدرس على الأطفال.

ومن ضوابط الأمن الفكري التربية الصحيحة في جميع المستويات، في الأسرة والمدرسة بمراحلها، والمساجد، والمجمعات الثقافية والفكرية والحكومات قبل جميع الفئات فلها دورها الأساسي فينبغي أن تهتم بالوسطية والعدل. فالتربية هي السبب الحقيقي لتبادل الأفكار وتحول المعتقدات. والصحيحة تحقق للجميع حياة مطمئنة متحلية بالأخلاق والسلم والمحبة، ونبذ العنف والتطرف، والتفرقة، ونشر الخير ومنع الشر والأذى، ففي السنة:(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم) [٢]. و:(إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا)[٣].

وهذه الأمور والمعاني كلها نجدها في حديث(كلكم راع)، فكما سبق لو ركز الوالدان على شؤون البيت

وتربية أولادهم فسيقدمون جيلا يحسون بالمسئولية، ويخدمون البلد بفكرهم ويحافظون على الأمن الفكري، فيكونون حجرا لصد الفكر المنحرف الهدام من أي جهة كان.

وكذلك الحال بالنسبة لجميع الفئات فكلهم حسب الحديث(كلكم راع) ومسئول عن رعيتهم، فبأداء واجبهم سيغلقون بابا على إضطراب الفكر في المستقبل.

ومن ثمرات الأمن الفكري هو الحفاظ على كيان الدولة والمجتمع ومنع الثقافات اللامعقولة ولا مشروعة شرعا، والوقوف تجاه تيارات فكرية منحرفة ومتطرفة، ودفع ما من شأنه يحرم المجتمع من التطور والتقدم.

---

[١]- البخارى فى الأدب المفرد(١١٢/١، رقم ٣٠٠)، والترمذى(٥٧٤/٤، رقم ٢٣٤٦) وقال: حسن غريب.

[٢]- أخرجه أحمد في المسند(٣٧٩/٢، رقم ٨٩١٨)، والترمذى(١٧/٥، رقم ٢٦٢٧)، والنسائى فى الكبرى(٥٣٠/٦، رقم ١١٧٢٦)، وغيرهم. وصححه الألباني(صحيح الترغيب والترهيب برقم ٢٥٥٥).

[٣]- مسلم في الصحيح باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس(٢٠١٧/٤)، رقم(٢٦١٣).

فالضرورات التي سبق أن ذكرناها لايمكن المحافظة عليها إلا من قبل الإلتزام بالأمن الفكري والتركيز عليه من قبل الجميع.
والأهم من كل ذلك وما يخص المسلم أن الإلتزام بالأمن في الدنيا يأتي بعده الأمن الأخروي، ومن لم يهتم بأسباب الأمن في الدنيا، فسيحرم الأمن في الآخرة، فمن تمسك بالهداية فهو حاصل على الأمنين، قال تعالى:﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾الأنعام (٨٢)، قال سيدقطب:" يسكب الإسلام في النفس السكينة والأمن والسلام، بالركون إلى الله والاطمئنان إلى جواره، والثقة في رحمته ورعايته وحمايته.."[١].
حديث الراعي: يحتوي على الإحساس بالمسئولية تجاه الأمنين، و كذلك جميع القضايا التي سبقت سلبا وإيجابا؛ لأن الإحساس بالمسئولية لايكون في أحد الجانبين بل يجمع كلاهما في كلمات مختصر من جوامع كلمه (ﷺ).
علاقته بالأمن الإجتماعي :
– مفهوم الأمن الإجتماعي:
قدم علماء الاجتماع تفسيرات لماهية الأمن الإجتماعي كقولهم: غياب أو تراجع معدلات الجريمة يعبر عن حالة الأمن الاجتماعي، وأن تفشى الجرائم وزيادة عددها يعني حالة غياب الأمن الاجتماعي[٢]. ولو نظرنا إلى هذا التفسير لوجدنا أن فقدان الأمن الإجتماعي يعود إلى عدم إحساس بالمسئولية من قبل أهل البلد أو القائمون بالجرائم، وهذا يجرنا إلى الكلام على دور التربية الذي سبق الحديث عن أهميتها.
وتحقيق الأمن الإجتماعي إنما يكون بأن يتمتع أفراد المجتمع بالاحساس بالمسئولية وكل واحد يكف شره عن غيره، ولا يتجاوز حدوده، وقد وضع الإسلام للجرائم، فشرع القصاص في القتل العمد العدوان، والحدود كلها وضعت حتى يحقق الأمن الإجتماعي للمجتمع، ودلالة حديث الباب على تحقيق الأمن الإجتماعي
واضحة، فلو تصرف كل واحد من أفراد المجتمع فلا يقع الخلل من هذه الناحية.
ولا يخفى دور السلطة والأمير في ضمانة الأمن؛ لأن مراتب تحقيقه مرتبط ببذل الجهود مؤسسات الدولة المتعلقة مباشرة بحفظ الناس وحياتهم، ويوفر للجميع فرص الحياة والعمل ويحقق العدالة الإجتماعية .
وكما عرفنا أن الحديث بدأ بلفظ عام مستغرق للأفراد فيحمل الجميع أمام المسئولية في جميع النواحي الفكرية والاجتماعية والاقتاصادية والغذائية وغيرها.

الخاتمة

الحمدلله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على حبيب الخلق محمد وآله وصحبه الطيبين .
في نهاية هذا البحث حان وقت تسجيل النتائج التي حصلت عليها خلال اشتغالي بالكتابة وجمع المعلومات والتفكير العميق لقضايا متعلقة بموضوع البحث، فأثناء هذه الجولة العلمية عثرت على نتائج متعددة، ومن أهم النتائج وأبرزها:
١) أن من أهداف الإسلام تحقيق السعادة لبني بشر في الدنيا وكذلك في الآخرة، فلما تتأمل نصوص التشريع تشعر أن هذا الهدف له حضوره في تشريعاته وأحكامه، ومن ضمنها حديث البحث ، فينبغي التركيز على هذا الجانب وإبراز محاسنه.
٢) السنة النبوية منبع خصب للدراسات الإجتماعية والفكرية والسلم والتعايش وغيرها؛ فهي تدخل في الجزئيات وتلج في تفصيلات الحياة، وتقدم أجمل حلول للمشاكل بعبارات مختصرة وجلية.
٣) أن حديث البحث بحاجة إلى دراسات متعددة، ومن أوجه مختلفة(كلكم راع) فهو من الأحاديث الجامعة يستحق الوقوف عنده وتناوله بالبحث والدراسة .
٤) حديث ابن عمر(رضي الله عنهما) بين أن الإنسان في الإسلام بين العبادة أو العصيان فمن لم يهتم بأمر العامة آثم وعاصي من هذه الجهة، ومن اهتم فهو في خير وعبادة.
٥) دل الحديث على أهمية التربية في جميع المراحل فهي خير وسيلة نحو الإحساس بالمسئولية.

---

[١] – في ظلال القرآن (١٤/ ٢٦٩)
[٢]– نقلا عن المتغيرات الدولية والإقليمية وأثرها على الأمن الإجتماعي، نظير محمود أمين، كلية القانون جامعة ديالي، السنة(٢٠١٠)، (٤٧٤ص)

٦) الإحساس بالمسئولية يحقق الطمأنينة والإستقرار في المجتمع سواء على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، وقد تحدثنا عنه في أثناء البحث. وهو شامل لجميع أوجه الحياة، فلا غنى عنه بحال .

التوصيات

لضرورة حديث البحث وموقعه الهام، وعلاقته باختصاصات متعددة أوصي الباحثين، الشروع مضامين هذا النص وما له صلة بموضوع المسئولية والتعايش والسلم، لكي نستطيع أن نبرز محاسن الإسلام وفضائله.

المصادر والمراجع

١. الاتجاه الأخلاقي في الإسلام دراسة مقارنة ، مقداد يالجن، ط١، ١٣٩٢– ١٩٧٣.

٢. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن السيوطي، دار الفكر– لبنان– ١٩٩٦م، ط١، تحقيق: سعيد المندوب.

٣. الأحكام السلطانية للماوردي،(ت ٤٥٠ هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.

٤. الأحكام السلطانية، لأبي يعلى،(ت٤٥٨هـ) حققه محمد حامد، دار الكتب العربية، لبنان– بيروت، سنة ٢٠٠٠م.

٥. إسعاف المبطأ برجال الموطأ، عبدالرحمن السيوطي، المكتبة التجارية الكبرى– مصر، ١٣٨٩هـ– ١٩٦٩م.

٦. البحر المحيط في أصول الفقه، محمد بن عبد الله بهادر الزركشي(ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

٧. التاريخ الصغير للامام لبخاري، دار الوعي, مكتبة دار التراث– حلب, القاهرة، ط١، ١٣٩٧– ١٩٧٧، تحقيق: محمود إبراهيم زايد.

٨. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل، البخاري، دار الفكر، تحقيق: السيد هاشم الندوي.

٩. تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، بدرالدين بن جماعة(ت٧٣٣هـ) تحقيق: د. فواز عبدالمنعم، ط١،١٩٨٥م، مطبوع في القطر.

١٠. تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، المباركفوري، دار الكتب العلمية – بيروت.

١١. تحفة المودود بأحكام المولود، محمد بن أبي بكر الأزرعي، مكتبة دار البيان– دمشق، ط١،١٣٩١–١٩٧١، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط.

١٢. تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.

١٣. التشريع الجنائي الإسلامي، عبد القادر عوده، مؤسسة الرسالة .

١٤. التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، سليمان بن خلف أبو الوليد الباجي، دار اللواء– الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، تحقيق : د. أبو لبابة حسين.

١٥. تفسير القرآن العظيم للحافظ بن كثير، ت ٧٧٤ هـ، دار المعرفة بيروت– لبنان، ١٩٩٢م– ١٤١٢هـ .

١٦. تقريب التهذيب لخاتمة الحفاظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت ٨٥٢ هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤١٥ هـ– ١٩٩٥ م .

١٧. تهذيب التهذيب ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط١، ١٩٨٤م ، دار الفكر.

١٨. تهذيب الكمال مع حواشيه، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي(٦٥٤– ٧٤٢)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠– ١٩٨٠م.

١٩. التيسير بشرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي– الرياض– ١٩٨٨م، ط٣.

٢٠. الثقات– ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٥– ١٩٧٥، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد.

٢١. الجرح والتعديل، أبو حاتم الرازي (ت٣٢٧)هـ، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد الدكن- الهند سنة ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢٢. رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، لابن السبكي، عالم الكتب- لبنان- بيروت-١٩٩٩م- ط١ .

٢٣. شرح السنة، للإمام البغوى، الحسين بن مسعود البغوي، المكتب الإسلامي- دمشق. بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الطبعة: الثانية، تحقيق: الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش.

٢٤. شرح الكوكب المنير، ابن النجار(ت ٩٧٢هـ) تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ مـ .

٢٥. شرح النووي على صحيح مسلم، يحيى بن شرف، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٢٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، سماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط١، القاهرة ١٩٥٦ م،ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٢٧. طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبد الرحيم بن الحسيني العراقي(ت ٨٠٦هـ)، تحقيق عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية ، سنة ٢٠٠٠م ، بيروت- لبنان.

٢٨. العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع، د. محمد بيصار، ط٤ ١٩٧٣ مكتبة الأنجلو المصرية .

٢٩. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني دار الفكر - ١٣٩٩هـ.

٣٠. عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق ابادي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.

٣١. غياث الأمم في تياث الظلم، لأمام الحرمين(ت٤٧٨هـ)، تحقيق: د.مصطفى حلمي، دار الدعوة بالأسكندرية سنة(١٤٠٠ هـ).

٣٢. فتح الباري شرح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة ، بيروت - لبنان، ط٢ .

٣٣. الفروق اللغوية الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري وجزءا من كتاب السيد نور الدين الجزائري، تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، شوال المكرم ١٤١٢.

٣٤. فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، لعبد العلي محمد بن نظام الدين الأنصاري، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٩٩٣، بهامش المستصفى.

٣٥. فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ مـ .

٣٦. القضاء والقدر. دكتور فاروق الدسوقي، دار الدعوة الإسكندرية .

٣٧. كتاب الكليات، لأبى البقاء الكفومى، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، مؤسسة الرسالة - بيروت- ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري.

٣٨. لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه، أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٣٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، ط١ .

٤٠. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي(ت٨٠٧ هـ)، بتحرير الحافظين: العراقي وابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، سنة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨ م.

٤١. المسئولية والجزاء في القرآن د محمد إبراهيم الشافعي، رسالة دكتوراه دار النهضة المصرية الطبعة الأولى.

٤٢. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية- بيروت .

٤٣. معجم لغة الفقهاء د محمد روا قلعة جي، دار النفائس، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م .

٤٤. معجم مقاليد العلوم، جلال الدين السيوطي، مكتبة الآداب- القاهرة، مصر- ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤ م، ط١.

٤٥. مقاييس اللغة، أحمد بن فارِس، تحقيق: عبد السَّلام هَارُون، اتحاد الكتاب العرب،: ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م.

٤٦. الموافقات– الشاطبي، إبراهيم بن موسى المالكي، دار المعرفة – بيروت، تحقيق: عبد الله دراز.

٤٧. نصيحة الملوك ونصيحة الملوك، لأبي حسن الماوردي(ت ٤٥٠هـ) تحقيق: محمد خضر محمد، ط ١، مكتبة الفلاح، الكويت، سنة (١٩٨٣م) .

٤٨. نهاية السول، عبد الرحيم الإسنوي، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م .

Abstract

The study has been studied in an analytical and objective study. The first topic: dedicated to a quick stop on the study of attribution and metan. The second was the analysis of modern words and the significance of modern words and the significance of paragraphs. And the third topic: contains the impact and relationship of modern security from various aspects, including: its relationship to intellectual and psychological security and its relationship to social security and family The study has been studied in an analytical and objective study. The first topic: dedicated to a quick stop on the study of attribution

key words: sense. Feeling . consideration of the counterparty. Cooperat . Happinese Security. Effects of the prophetic sunnah